

الإمام الحسين (ع) هو الانفتاح على الخير كله



إنَّ العلاقة بعاشوراء تنطلق من خلال شخصية الإمام الحسين (ع)، فالحسين بالنسبة إلينا ليس مجرّد كونه ابن بنت رسول الله (ص)، حتى ترتبط به على أساس القرابة، ولكن الحسين (ع) هو الإمام المفترض الطاعة الوارث للأنبياء. ألا نقرأ في زيارته: "السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله، السلام عليك يا وارث نوحنبي الله، السلام عليك يا وارث إبراهيم صفوة الله، السلام عليك يا وارث موسى كلّيم الله، السلام عليك يا وارث عيسى روح الله، السلام عليك يا وارث محمد حبيب الله، السلام عليك يا وارث علي ولـي الله". إذاً الإمام الحسين (ع) بالنسبة إلينا هو الذي ورث الإمامة عن أبيه بنـصـ رسول الله (ص)، وهو الذي انطلق بما مـاتـه لـيرـثـ رسـالـاتـ الأنـبـيـاءـ كلـهاـ، رسـالـةـ الإـسـلـامـ التيـ أوـكـلـ إـلـيـهـ أمرـ حـمـاـيـتهاـ وـرـعـاـيـتهاـ وـتـصـحـيـحـ كـلـ ما يـريـدـ الآـخـرـونـ أنـ يـحرـفـوهـ مـنـهـ. فـنـحنـ إـذـ نـرـتـبـطـ بـالـإـمـامـ الـحـسـيـنـ، باـعـتـبـارـ أـنـهـ إـمـاـنـاـ الـذـيـ نـأـخـذـ مـنـهـ شـرـعـيـةـ الـكـلـمـةـ، وـشـرـعـيـةـ الـمـوـقـفـ، وـشـرـعـيـةـ الـحـرـكـةـ، وـشـرـعـيـةـ الـمـوـاجـهـةـ... لـانـ إـلـمـامـ يـنـتـلـقـ فـيـ خـطـ رسولـ اللهـ (صـ)ـ وـيـمـذـلـ فـيـ كـلـ سـلـوكـهـ رـوـحـ رسولـ اللهـ (صـ)ـ وـوعـيهـ، وـكـلـ مـنـتـلـقاـتـهـ فـيـ الـحـيـاةـ. لـقدـ وـقـفـ فـيـ آخرـ حـيـاتـهـ لـيـوـدـ عـ الـمـسـلـمـينـ، فـقـالـ لـهـمـ: "أـيـهـ النـاسـ إـنـكـمـ لاـ تـمـسـكـوـنـ عـلـيـ بشـيـءـ إـنـهـيـ مـاـ أـحـلـتـ إـلـاـ مـاـ أـحـلـ الـقـرـآنـ وـمـاـ حـرـمـ إـلـاـ مـاـ حـرـمـ الـقـرـآنـ"ـ وـكـانـ النـبـيـ يـقـولـ لـهـمـ: لـيـسـ عـنـدـيـ شـيـءـ خـفـيـ، وـلـيـسـ إـلـاـ أـوـضـاعـ بـاطـنـيـةـ. فـأـنـاـ رـسـولـ اللهـ (صـ)ـ إـلـيـكـمـ، وـأـنـاـ أـوـلـ الـمـسـلـمـينـ الـذـيـنـ يـتـحـرـ كـونـ بـالـإـسـلـامـ عـلـىـ أـسـاسـ مـاـ قـوـلـهـ لـكـمـ، وـلـذـاـ تـسـتـطـيـعـونـ أـنـ طـالـبـونـيـ بـكـلـ ماـ فـعـلـتـهـ فـيـ حـيـاتـيـ الـعـائـلـيـةـ وـالـجـمـعـيـةـ وـالـسـلـيـمـةـ وـالـحـرـبـيـةـ... هـلـ أـحـلـتـ مـاـ أـحـلـ إـلـاـ؟ـ وـهـلـ حـرـمـ إـلـاـ؟ـ وـهـكـذاـ فـكـلـ الـمـنـتـلـقـاتـ، هـيـ مـنـتـلـقـاتـ الـحـلـلـ وـالـحـرـامـ فـيـ إـلـاسـلـامـ، وـلـيـسـ لـدـيـ النـبـيـ (صـ)ـ شـيـءـ خـفـيـ يـقـولـهـ، وـكـذـلـكـ عـنـدـمـاـ نـلـاحـظـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـيـنـ (عـ)ـ عـنـدـمـاـ يـتـحدـثـ عـنـ الـخـلـافـةـ، وـلـمـاـ اـنـطـلـقـ وـلـمـاـ صـارـ، وـلـمـاـ جـاهـدـ، وـلـمـاـ قـاتـلـ، فـإـنـهـ يـقـدـمـ حـسـابـهـ فـيـقـولـ: "الـلـهـمـ إـنـكـ تـعـلـمـ إـنـهـ لـمـ يـكـنـ مـاـ كـانـ مـذـاـ تـنـفـسـاـ"ـ فـيـ سـلـطـانـ وـلـاـ إـلـتـمـاسـاـ مـنـ فـضـولـ الـحـطـامـ، وـلـكـنـ لـذـرـيـ الـمـعـالـمـ مـنـ دـيـنـكـ، وـنـظـهـرـ الـإـلـصـاـحـ فـيـ بـلـادـكـ وـيـأـمـنـ الـمـطـلـومـيـنـ مـنـ عـبـادـكـ وـيـعـمـلـ بـفـرـائـصـ وـسـنـتـكـ وـأـحـكـامـكـ"ـ، إـنـهـ يـعـلـمـ حـرـكـتـهـ بـالـعـنـاوـيـنـ إـلـاسـلـامـيـةـ الـكـبـيرـةـ الـتـيـ هـيـ إـطـهـارـ مـعـالـمـ الـدـيـنـ، وـإـلـصـاـحـ وـاقـعـ النـاسـ، وـتـأـمـيـنـ الـمـطـلـومـيـنـ مـنـ عـبـادـ اللهـ (سبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ).

وعندما نأتي إلى الإمام الحسين (ع) لندرس شرعية حركته فنرى أنَّه بدأها بالبيان الأوَّل الذي أطلق من خلاله حركته، قال لهم: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللهِ (ص) قَالَ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ سُلْطَانًا جَائِرًا مُسْتَحْلِلًا لِحَرَمِ اللهِ، نَاكِثًا بِعهْدِهِ، مُخَالِفًا لِسُنْنَةِ رَسُولِ اللهِ، يَعْمَلُ فِي عِبَادِ اللهِ بِمَا يُدْخِلُهُ مُدْخِلَهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ فَلَمْ يَغِيرُ مَا عَلَيْهِ] يَقُولُ وَلَا يَفْعُلُ؛ كَانَ حَقًا عَلَى اللهِ أَنْ يُدْخِلَهُ مُدْخِلَهُ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ لَزَمُوا طَاعَةَ الشَّيْطَانِ وَتَوَلُوا عَنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، وَأَظَهَرُوا الْفَسَادَ وَعَطَلُوا الْحَدُودَ وَاسْتَأْثَرُوا بِالْفَيْءِ وَأَحْلَلُوا حَرَامَ اللهِ وَحْرَمَوا حَلَالَهِ، وَإِنِّي أَحَقُّ بِهَذَا الْأَمْرِ"؛ إِنَّهُ قَالَ لِلنَّاسِ مَا مَعْنَاهُ: إِنِّي أَنْطَلَقَ مِنْ حَيْثُ أَنْطَلَقَ رَسُولُ اللهِ (ص)، وَمِنْ حَيْثُ أَمْرَ بِالثُّورَةِ وَبِالْتَّحْرِكِ وَبِالْعَمَلِ فِي خَطَّ التَّغْيِيرِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ: "إِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشْرَاً وَلَا بَطَرَاً وَلَا مُفْسِداً وَلَا طَالِمَاً، وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِتَطْبِيقِ الْإِلْصَافِ فِي أُمَّةٍ جَدِّيَّةٍ.

أُريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المُنكر وأسir بسيرة جدي وأبي عليّ بن أبي طالب (ع). فمن قبيلي بقبول الحقّ، فإـ أولى بالحقّ، ومن ردّ على هذا أصبر و قال بعد ذلك أيضـاً: "ألا ترون إلى الحقّ لا يـ عمل به وإلى الباطل لا يـ تناهى عنه" و قال: "لا لا لا" أـ عطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أـ قر لكم إقرار العبيد إنـ كلـ هذه الكلمات وكلـ هذه البيانات تعنى أنـ الإمام الحسين (ع) قد انطلق في حركته على أساس عنوان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى أساس إعادة الحقّ في الحياة إلى موضعه من أجل أنـ يـ عمل الناس بـ الحقّ. وإنـ بعد الباطل عن الواقع حتى يـبتعد الناس عنه، وأنـ يـقف المسلم على أساس أنـ يـجسـد العزـة في كلـ مواقفه، وأنـ يـرفض الذـلـ مواقفه، كأنـ الإمام الحسين (ع) يـ يريد أنـ يقول لكلـ الأجيال من بعده: إنـني وقفتـ هذا الموقف من موقع إـمامتي، ومن موقع تحرـكـ في خطـ الرسالة. فإذا عـشتـ تجربـةـ كـتجربـتي، وإذا واجـهمـ حـكمـ مـماـئـلـ للـحكـمـ الـذـيـ وـاجـهـنيـ، وإذا عـشتـ وـاقـعاـ كالـوـاقـعـ الـذـيـ عـشـتـهـ وـكانـ لـدـيـكـ إـمـكـانـاتـ لـلـتـحرـكـ وـلـلـانـطـلـاقـ؛ فإذا نـكـمـ تـسـتـعـيـعـونـ أـنـ تـحرـكـوا فيـ الخطـ الـذـيـ تـحرـكـ فـيهـ لـازـمـكـ بـذـلـكـ تـنـطـلـقـونـ منـ حـيثـ اـنـطـلـقـتـ، وـتـرـتـيـطـونـ بـالـحـكـمـ الشـرـعيـ منـ حـيثـ اـرـتـيـطـتـ. وهـكـذاـ فـعـندـماـ نـتـنـطـلـعـ إـلـىـ الإـمـامـ الحـسـينـ (ع)، فإـنـناـ نـأخذـ منهـ شـرـعـيـةـ التـحرـكـ عـندـماـ يـقـولـ لناـ النـاسـ كلـ النـاسـ - لماذاـ تـعـارـضـونـ الـحـكـمـ الـطـالـمـ؟ـ وماـ الـأسـاسـ الشـرـعيـ لـمـعـارـضـةـ الـحـكـمـ الـطـالـمـ؟ـ لماذاـ تـرـيدـونـ أـنـ تـغـيـرـواـ الـوـاقـعـ الـاسـتكـبـارـيـ؟ـ لماذاـ تـحرـكـونـ فيـ مـواجهـةـ الـبـاطـلـ وـفيـ مـواجهـةـ الـظـلـمـ وـالـانـحرـافـ؟ـ لماذاـ تـحرـكـونـ فيـ هـذـاـ الـاتـجـاهـ وـأـنـتمـ مـسـلـمـونـ؟ـ نـقـولـ لـأـنـ رـسـولـ (صـ)ـ قـالـ لـنـاـ ذـلـكـ، وـأـنـ عليـاـ قـالـ لـنـاـ ذـلـكـ عـنـ رـسـولـ (صـ)، وـلـأـنـ الإمامـ الحـسـينـ - المـفـتـرـضـ الطـاعـةـ -ـ قـالـ لـنـاـ ذـلـكـ بـمـوقـفـهـ بـعـدـ أـنـ قـالـهـ بـلـسـانـهـ، وـقـالـهـ لـنـاـ بـمـوـاقـفـهـ، وـقـالـهـ لـنـاـ بـكـلـ آـلـامـهـ بـعـدـ أـنـ قـالـهـ لـنـاـ بـكـلـ مشـاعـرـهـ.

إنَّ الإمام الحسين يعطينا الشرعية والقدوة والانفتاح على كلِّ الواقع الذي نعيشه مع رفض حالة الحياد بين الخير والشرِّ.

أسمى درس نتعلم من مأساة كربلاء هو أنَّ الحسين (ع) وأنصاره كان لهم إيمان راسخ باهٍ وقد أثبتوا بعملهم ذاك أنَّ التفوّق العددي لا أهمية له حين المُواجهة بين مبادئ الحقِّ والعدل من جهة ونوازع الظلم والباطل من جهة أخرى.